موروثات وتقاليد الدفن العقائدية عند الأقباط ما بين القرنين الأول والثامن الميلاديين

الباحث/ أحمد عبد الرؤف أحمد عطية

(طالب ماچستير في الآثار القبطية من قسم الآثار المصريّة بكلية الآثار جامعة القاهرة/ مهندس أول بالمجلس الأعلى للآثار–وزارةالآثار، مصر)

من رسالة ماجستير في الآثار بعنوان:

تخطيطات المقابر القبطية وعناصرها الوظيفية حتى نهاية القرن السّابع الميلاديّ،

إشراف: أ.د. أحمد عبد القادر جلال

(أستاذ الآثار المصريّة بكلية الآثار– جامعة القاهرة)

رسالة ماچستير مُسجّلة بقسم الآثار المصريّة

جامعة القاهرة: كلية الآثار، «قيد المناقشة»

المقدمة

على غير المألوف– في دراسة المقابر القبطية في العصرين المصري القديم، والإغريقي الروماني– وجود مادة أثرية لإستخلاص تقاليد دينية ومذهبية لمواطنى هذه الحضارات. فقد كان إعتماد الأقباط على أنفسهم، ونقص الإمدادات الحكومية، عاملان أفضيا إلى اكتفائهم بعبر تقليدية حرصوا علي ممارستها عند قبر موتاهم، وهو ما استخلصه فى بحثى هذا متوخيًا شقين رئيسيين :الشق الأول: المتوارث من هذه العادات، أما الشق الثاني: مدى التماثل العقائدي والمذهبي بين هذه العادات ومثيلاتها على مستوى العالم المسيحي المجاور.

(ISSN : 2536 - 9555)

وحيث أن الإطار التاريخي والفني للحقبة المسيحية المبكرة منذ ميلاد السيد المسيح –عليه السلام – وحتى عام 330م، ومرورها بعدة مراحل هامة بدءاً بالعصر الرسولي، بدايةً بعصر الانتشار ثم فترات الاضطهاد وأخيراً مرحلة التصالح مع الدولة الرومانية والإعتراف بالمسيحية كديانة رسمية، كلها عوامل أثرت على الموروث العقائدي علاوة على عامل تأثير اليهودية على المسيحية فى الفترة المبكرة وصدى ذلك التأثير على هذا الموروث لدى الأقباط، وكذلك مدى تحديد مفهوم الالتقاء بين الموروث الحضاري القديم والعقيدة الجديدة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى مدى إثبات تأثر الممارسات الروحية المسيحية بالعلاقة بين العقيدة الروحية الإيزيسية الأوزيرية والعقائد الغنوسية، وهو الأمر الثابت في إستغلال المعابد المصرية القديمة من قبل الأقباط وذلك حتى القرن الثامن الميلادي.فلذلك سوف نتناول الشقيين السابقين بالدراسة التحليلية لبيانهما الشق الأول:– والذى تم ذكره اعلاه ، فقد وجد أنه ليس لدينا الا القليل عن ممارسات الدفن لدى الأقباط، وذلك بسبب ندرة المراجع المتاحة عن هذه الممارسات، وفى أغلب الأحوال تكون المعلومات المتاحة قليلة وضئيلة وينقصها التفاصيل، وكذلك الأدلة الأثرية أيضًا قليلة. فقد جرت العادة على دفن مؤسسى الجماعة الديرية والرهبانية الأولى في مغارة (وهى كانت تُمثل المأوى البدائي الذى أعدوه وهيأوه لدفن مثل هؤلاء)، الأمر الذى جعل هذا المأوى البدائى يتحول – رويداً رويداً– إلى مزار يتجمع فيه ويستقر حوله تلاميذ الجماعة الديرية والتى أخذت أعدادهم في تزايد مستمر حول هذا المزار([1])، وهو أمراً لاقى معارضة شديدة من بعض النساك الأوائل والذين كانوا ضد هذه الظاهرة، نذكر منهم على سبيل المثال القديس أنطونيوس الذى كان متخوفًا من أن يتجمع تلاميذه فى مزارات حول جسده

([1]) E. White, The Monasteries of the wadi'nNatrun, part III, New York, 1933, p.6

المحنط ([2])، حيث أن التحنيط كان شائعًا حتى أواسط القرن الرابع الميلادي مما يُثبت عملية استمرار هذا الموروث من المصرى القديم حتى ذلك الوقت ([3]).كما جاء فى سيرة حياة القديس باخوميوس، بأنه آخذ وعداً من تلاميذه أن يقوموا بدفنه فى سرية تامة وكان يحاول بذلك أن يتفادى بشدة وحرص التملق الذى يحدث بعد نياحة اى من رؤوساء الجماعات الرهبانية ([4]) وهكذا فعلوا تلاميذه ولم يعرف مكان دفنه النهائي ألا أقرب التلاميذ له([5]) ولم يجد الباحث أى ربط مماثل بين هذه العادة أو التقليد وما يشابهه فى مصر القديمة. إلا أن عملية الدفن كان يسبقها يومًا كاملاً بحيث يوضع خلال هذا اليوم جسد القديس المتنيح على المذبح ويسهرون الرهبان طوال الليل وهم يقومون بإقامة الصلوات والتلاوات، ثم يرفعون القداس الإلهي تمهيداً لدفنه مع بقية الرهبان([6])، ثم يتم نقل جسد القديس فى مقبرة فى أحد الوديان بالقرب من الدير وكانوا ينشدون المزامير أثناء ذهابهم. ولقد كانت هذه العادة الخاصة برفع الصلوات تقليداً موروثاً معروفاً عند المصري القديم.

ومن الأمثلة الرائعة التى جاءت عن وصف طقوس دفن الرهبان، والتى تتطابق مع ما جاء وصفه سابقاً، ما تم ذكره فى وصف طقوس دفن رهبان الدير الأبيض- دير الأبناء شنودة بسوهاج([7]) نذكر منها:

([2]) G. Garitte, s. Antonii Vaite,S0rpusCO,vol. 117 p. 98, 1- 66 ff.

([3]) ألفريد. ج بتلر، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، الكنائس القبطية القديمة في مصر، الجزء الأول، القاهرة، 2001، ص ص 29-30.

([4]) L- Le fort, S. Pochoimivitae, CSCO, Vol. 99, p. 94, L- 2 et. Seq.

([5]) G- Garitte, S. Antoniivitae, CSCO, Vol. 117 P99 , 1- 4

([6]) L, Le Fort, S. pachoimivitae, CSCO, Vol.99, p95.

([7]) ك. ك. والترز، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، الأديرة الأثرية في مصر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005، ص. 366.

(ISSN : 2536 - 9555)

"عندما يتنيح راهب من هذا الدير يقوم الآخرون بالتجمع للصلاة وإنشاد المزامير وذلك حول سرير المتوفى، ثم بعد ذلك يُقام تنقية الجسد من الشوائب، ثم يجرى دفن الجسد في نفس اليوم، وإن لم يتم الدفن في نفس اليوم فإنه يتم تعيين عدد من الرهبان يتراوح من ثلاثة إلى خمسة وذلك للسهر حول جسد القديس ويقوموا بتقديم الابتهالات والصلاوات حتى صباح اليوم التالي، وعند إقامة القداس الاحتفالي تُقرأ في هذا القداس قطع من الإنجيل وتتلى خمسة مزامير، ثم بعد ذلك يُنقل الجسد إلى المقبرة التى أعدت لِلدفن وهي في العادة تكون خارج سور الدير، حيث يُحمل الجسد المُسجى في تابوت، وذلك بمعرفة عدد من الرهبان احد كهنة الدير والذين يقومون بإيداع الجسد فى مكان راحته، واخيراً يُنقش إسم الراحل فوق لوحة حجرية تُنصب فوق القبر، وبعد مرور عام على عملية الدفن يُقام قداس شهرياً تكريما للراهب الراحل."

وهنا ينبغى التنويه إلى أن عملية وضع المتوفى فى تابوت ونقش إسم المتوفى على أحد الجدران أو على لوحة حجرية (انظر شكل رقم (1)) لهو أمراً كان ممارساً منذ عهد المصريين القدماء رغبة فى تخليد ذكرى هذا الشخص، أى انه يُعد تقليدًا موروثًا سبق ومارسه المصري القديم، كذلك الأمر بالنسبة لإحياء ذكرى هذا المتوفى خلال فترات السنة.

شكل رقم 1

اسم القديس شنودة مكتوباً بالمداد الأسود على لوحة حجرية بمقبرته بالدير، نقلاً عن:

in Egypt, No. 198, 2011, p34. CenterBulletin of the American ResearchK. Scott,

شكل رقم 2

مقبرة الانبا شنوده.....

نقلاً. عن:..... . k.Scott ص37

(ISSN : 2536 - 9555)

شكل رقم 3

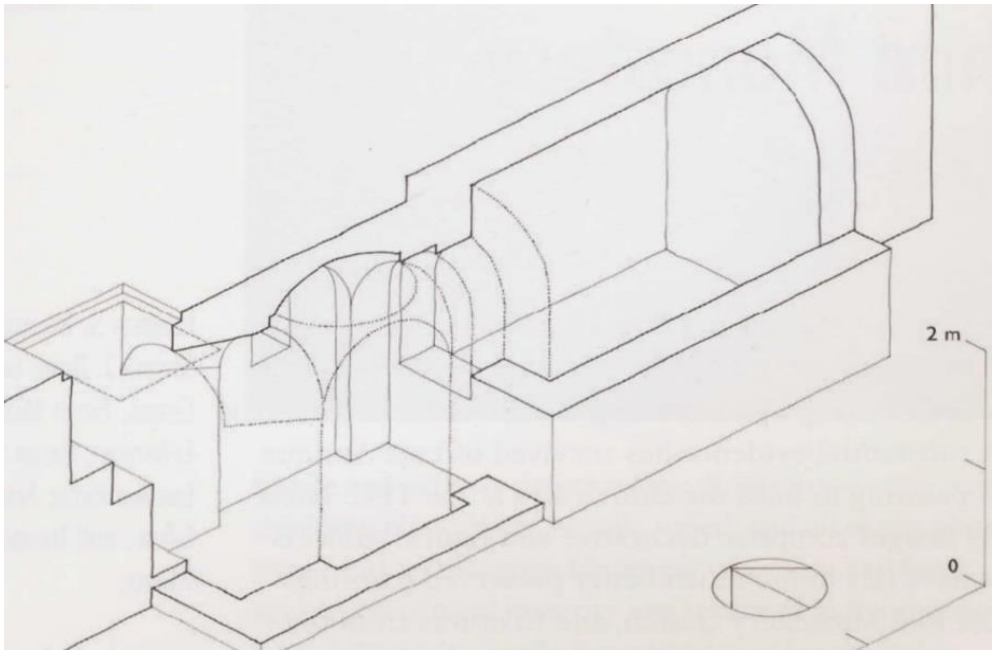

رسم تخطيطى لمقبرة الأنبا شنوده
نقلا عن K.Scott

– وفي دفن الراهبات اللائي([8]) ينتمين للنظام الباخومى * نجد أن بلاديوس يقول عنهما وأنه عندما يتحدث عن التحنيط للأجساد فأنه لا يطول في الحديث

([8]) ك. ك. والترز، الأديرة الأثرية في مصر، القاهرة، 2005، ص ص 236 – 237.

* **النظام الباخومي:**– وهو نظام الشركة أي يكون في الدير أكثر من قلاية والقلاية التي تحتوى على عدد من الرهبان قد يصل إلى خمسة رهبان وأدى هذا النظام إلى الانفتاح بحيث انفتحت الأديرة لغير المصريين مثل اليونان والرومان ولكل جماعة منهم رئيس يدير حياتهم.

عن ذلك وحيث أنه يقول أن الراهبات أنفسهن لم يكن من المعتاد بينهن القيام بعملية الدفن ولكنهن يوكلوا هذه العملية للرهبان الموجودين في الأديرة القريبة منهن وهم يكونوا من الرجال وفي حالة تجهيز الجسد للدفن فإنه يتم النزول به إلى حافة الماء حيث يأخذه منهم أحد الرهبان في الدير الذى يقع في الجانب البعيد من النهر وحيث يحمل كل راهب في يده سعف النخيل وأغصان الزيتون وأن الجسد ينقل عبر النهر في صحبته ويقام إنشاد المزامير بعد ذلك ثم يدفن الجسد في مقبرته المستقلة التي أعدت لدفنه وهذا يعد أيضًا موروثًا عن المصري القديم حيث أن الجسد كان ينقل في المركب عبر النهر في رحلة للعالم الآخر اعتقادًا منه أن الميت يرحل إلى العالم الآخر عبر النهر.

– ونجد أن طقوس دفن القديس بستناؤس والذى هو من قفط تتوافق مع طقوس القديس باخوميوس والأبناء شنودة([9])، حيث أنه بعد التنيح فقد تم لف جسده في كفن ثم بعد ذلك تم نقله إلى الكنيسة ثم بعد ذلك فقد قام الرهبان بالحداد في الليل ثم بعد ذلك في اليوم التالي قاموا بممارسة سر الشكر ثم بعد ذلك قاموا بأخذ الجسد إلى المقبرة التى أعدت لدفنه وهي كانت فوق الجبل المقدس الذى كان لا يبعد الا قليلاً عن مكان الدير وكان ذلك تقليدًا موروثًا عن المصري القديم حيث أنه كان يتم تأجير النداابات في حالة الوفاة حيث يقوموا بالندب على الميت، وقد أوصى القديس بأنه يريد أن يدفن في ثوبه الرهباني وأنه لا يوجد أي دليل آثري بأن هذه الوصية كانت شائعة في ذلك الحين أم لا ولكنه في الحقيقة بان بستناؤس هو الذى طلب ذلك فقط ولم يطلبه أحد غيره في ذلك الحين منالتجمعات الديرية والرهبانية ،لذلك تعتبر هذه عادة خاصة به وليس هذا يعد تقليدًا موروثًا عن المصري القديم وكان ذلك قبل القرن الثامن الميلادي ونجد أنه يوجد نص أو نصين، يؤكدوا ذلك. ونجد أن قصة القديسة التي عاشت متخفية بين الرهبان لفترة

([9]) ك. ك. والترز، والترز، الأديرة الأثرية في مصر، ص 237.

(ISSN : 2536 - 9555)

زمنية طويلة وذلك دون أن يعرفوا أنها راهبة وليست راهب، وهي فى حقيقة الأمر تكون مرجعًا متكاملاً وشاملاً عن عادات الدفن ولف الجسد في كفن([10]) ونجد أيضًا تفاصيل أخرى مهمة عن حياة القديس ساويرس حيث أنه كتبها زخارياس وذلك في القرن السادس الميلادي([11]) وحيث أنه أوضح بأنه من المحتمل دفن فرد ذو هيبة ووقار داخل الدير وليس فقط هذا ولكن من الجائز والمحتمل دفنه داخل الكنيسة نفسها وقد ظهرت هذه الميزة بعد ذلك حتى تشمل العلمانيين وذلك بسبب عدم وجود مساحة كافية حول الأديرة والكنائس حتى يقام عليها مقابر([12]).

وذلك يعتبر موروث عن المصري القديم حيث كان يدفن الملك داخل المعبد الخاص به ونجد أنه بعد ذلك بعدة قرون قد كتب أبو صالح الأرني أن الأشخاص كانوا من المحتمل أن يدفنوا في مقابر متاخمة للكنيسة([13]). وأن ذلك سوف نراه فيما بعد لأننا نجد أن هذه الظاهرة قد انتشرت بين المجموعات الرهبانية وكذلك التجمعات الديرية. ثم بعد ذلك نجد أن أبو صالح الأرمني يتحدث عن وجود سراديب تستغل للدفن([14]) وهذا تقليد آخر ولكن قد لا تعود جذوره إلى المصري القديم ولكن أشتهر في الأديرة القبطية، وبعد ذلك نجده يتحدث عن وجود أثنين من جسد القديسين يو ضعان فوق حامل خشبي وذلك في حجرة المذبح وذلك في

([10]) E. White, The History of the Monasteries of Nitria and Scetis, 1932, p. 224 ff.

([11]) Patriologina Orient alised. GraffinandNau, VOL, II P. 27ff.

([12]) Monneret de villard II Monasterodis, SimeonePressoaswan, (1927), P. 160 ff..

([13]) **أبو صالح الأرمني:** كنائس وأديرة مصر ص 24، تبلد، فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد، القاهرة، 1933، ص36، ص 63.

([14]) أبو صالح الأرمني، كنائس وأديرة مصر.

كنيسة دير "أبي صير([15])، ونجد أن ذلك قد يعود إلى الطرق القديمة التي كانت تستغل في حفظ رفات الموتى وذلك باستخدام صندوق خشبي ذو واجهة أمامية من الزجاج حيث أنه بعد ذلك أصبح استخدام ذلك الصندوق الخشبي من المناظر الشائعة اليوم في أديرة وادي النطرون وهذا يعتبر تقليد موروث عن المصري القديم.

– ونجد إنه في دير القديس إبيفانيوس 6 ([16]) فإننا نجد أن الجبانة الخاصة بهذا الدير تكون موجودة في خارج الدير مباشرة لحائط السور الخاص بالدير مباشرة وإن هذه الجبانة تتكون من أحدى عشرة مقبرة وكان معظمها قد تعرض للسلب الجزئي، وقد أحاط بهذه الجبانة بحائط سور غير مصقول بحيث يقوم بغلق هذه الجبانة وفي داخل هذا الحائط فضاء مستطيل الشكل خال من المطبات ويقع في منتصف هذه المنطقة مقبرة مربعة الشكل وذات سقف مقبي ويبلغ حجمها 5,20 مترًا ويوجد على كلاً من جانبيها عقدان يسندان سقفها المقبي وقد رى وينلوك أن هذه المقبرة يسبق بناؤها حائط السور وأن المقصود في الأساس من بناؤها هو استخدامها لدفن الرهبان وذلك بوجه عام، وحيث أن الفراغ الذى بداخل هذه المقبرة قد أمتلأ مما أدى إلى بناء مقابر أخرى خارج حائطها الشمالي، وأن جميع المقابر غير محدودة الشكل وأن أبعادها تكون تقريبًا بعمق متران وعرضًا نصف مترًا، ونجد أن الأجساد وضعت ومعها خرقة مصنوعة من القماش خشنة الملمس وهي تشبه في شكلها الحزام وتوضع حول الخصر، وفي أحيان أخرى توضع خرقة أخرى من القماش الخشن تحت الذقن وفوق الرأس كي تحافظ على

([15]) أبو صالح الأرمني، ص 88.

([16]) H .E . Winlock and W.E. Crum, THE Monastery of EpiPhanivs, Part I, (1926), P 45 ff.

(ISSN : 2536 - 9555)

وضع الفم *مغلقًا وكان كلاً من أبهام القديس يربط مع الركبة وذلك بخيط*([17]) *أما الذراعان فأما ان يوضعا* إلى الجانبين أو أمام الأربية أي ما بين الفخذين وذلك مع ربط اليدين معًا ثم يلف الجسد كله بداءً من الرأس وحتى الركبة في قماش خشن الملمس وذلك في سلسلة من الملايات الكبيرة بما تكفي للثنيوتغطية واجهة الجسد وتكون كبيرة وذلك لكي تلف وذلك لكي تشكل مرتبة تحت الرأس والقدمين، ثم تحاك كل ملاءة من الأمام مع شرائط وتحاك خلال شقوق من القماش، وتربط الملاءة الخارجية حسب ترتيب واضح للشرائط.

شكل رقم 4

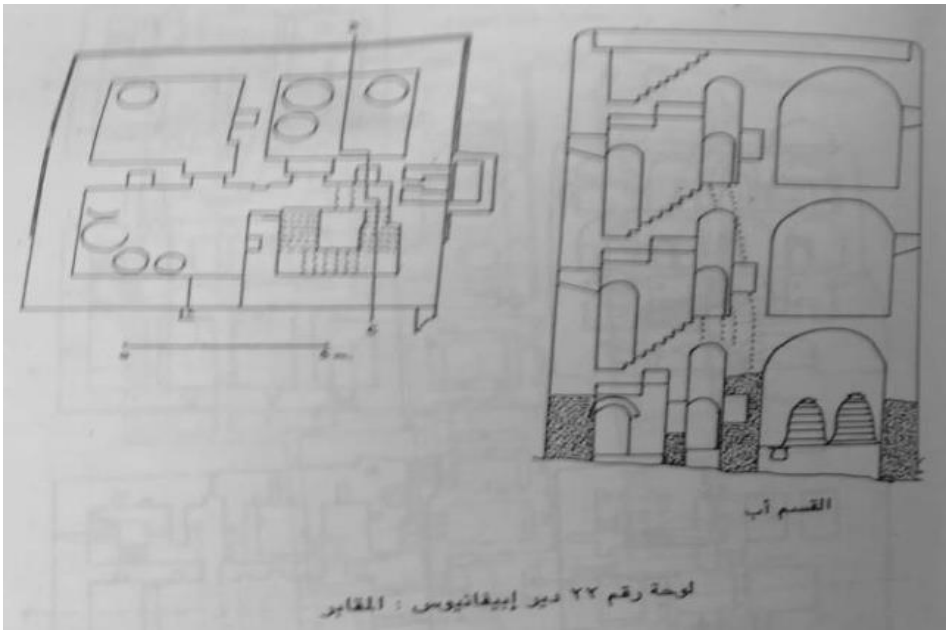

مقابر دير أبيفانيوس نقلاعن ك.ك. والترز.

([17]) H.E. Win Lock and W.E. Crum, The Monastery of Epiphanius., P. 48, note 1.

وقد وجد على ثلاثة من الأجساد أربعة من هذه الملاءات وقد لقانون الملاءة الخارجية غطاء سميك وكان هناك ثلاثة من الملاءات الكبيرة والطويلة على أحد الأجساد وبالتبادل مع ثلاثة من الملاءات الأخرى الصغيرة والقصيرة تغطى الجسد فوق الركبتين مع ملاءة أخرى خارجية سميكة وكان جميعها من التيل غير المزين او المزخرف، المترز، ونجد أن الخطوة الأخيرة فتشمل في إلباس الجسد صدرية وحزام من الجلد، وقد وجد في إحدى الحالات أن الصدرية والحزام قد وضع على الجسد قبل الملاءة الخارجية وأنه في حالات أخرى نجد أن الصدرية معلقة حول الكتفين، وقد وجدنا في حالة واحدة فقط غطاء إضافي موضوع فوق الصدرية. مع حقيبة من الكتان مفتوحة بطول أحد الطرفين وقد شدت على الوجه مع ربط خيطها بسيور الحزام، وقبل لف الجسد في الملاءة الداخلية كان يوضع كميات من الملح الخشن من وادى النطرون وحبات العرعر أي السرو الجبلي بين الساقين وفوق الجذع وكان ذلك ربما يفسر بأنه محاولة لحفظ الجسد من التحلل أو محاولة للتحنيط وهذه تعتبر تقليد موروث عن المصري القديم حيث أنه كان المصري القديم يقوم بتحنيط الجسد قبل الدفن.

– ونجد أنه في بعض المقابر نجد أن الجسد كان يغطى بحصير من سعف النخيل والسلال المصنوعة من خوص النخيل وربما يفسر ذلك بأن هذه الطريقة كانت ربما أنها تتبع لتوفير الحماية الاضافية أو المقصود بها بأن يصحب مع الراهب أدواته المعتادة والتي كان يستخدمها في حياته اليومية ولكن من الصعب تقرير ذلك ويعتبر هذا ربما أن يكون من التقاليد الموروثة عن المصري القديم بأن يضع أمتعته بجوار الميت اعتقادًا بأن المتوفي يعيش في العالم الآخر.

كما نجد أنه في مواقع أخرى من منطقة طيبة الغربية وهي من المواقع التي من المحتمل أن تكون خاصة بالتجمعات الرهبانية وتقع بعضها في مواقع داخل

(ISSN : 2536 - 9555)

حرم المعبد البطلمي في دير المدينة([18]) وهنا اكتشف إحدى عشرة مقبرة مقابر الحائط الشمالي للمعبد وكانت الأجساد تشبه الأجساد في ديرابيفانيوس وكانت موضوعة بحيث تتجه رؤوسها في اتجاه الجنوب الغربي وربما كان تجهيز الأجساد يتم بان توضع ما يشبه المراتب تحت الرأس ويوجد شرائط مثبتة إلى الخارج ويمكن أن نرى كذلك الصدرية الملفوفة حول الكتفين([19]) وقد رأينا أسم المتوفى في بعض من الحالات منقوشًا على حائط المعبد.

كما نجد أنه في جبانة أخرى والتي تقع في الدير البحري وهي من الجبانات الطيبية وحيث يظهر أنه من أسمه كان يستخدم في يومًا من الأيام مقرًا لإحدى الجماعات الرهبانية([20]) ومن الواضح أن الرهبان كانوا يدفنون في بهو كنائسهم في القاعة الجنوبية والتي كانت مخصصة للقربان، بحيث أنه كانت توضع الأجساد تحت البناء للراحة والذى كان على شكل المصطبة المستطيلة وهو يشبه الكنائس الموجودة في مقابر البجوات وأن المقابر في باويط تنقسم إلى قسمين أحدهما يقع في التلال والآخر يقع في السهل([21]) وتتكون المقابر التي في التلال من جسر عميق والذى كان في أسفله تقع حجرة الدفن، أما الجزء العلوى فإنه كان يتكون من كنيسة صغيرة، مبنية فوق ا لجسر أما المقابر الأخرى، والتي تقع في السهل فهي كانت أكثر أتقانًا من التي في التلال وكانت مبنية من الطوب الأحمر، وكانت غرفة الدفن تتجه باتجاه الشرق – الغرب، ورؤوس الأجساد كانت

([18]) ك. ك. والترز، الأديرة الأثرية في مصر، ص 239.

([19]) ك. ك. والترز، الأديرة الأثرية في مصر، ص 239.

([20]) Winlock and crum, The Monastery of Epiphaniusat the bes port 1.

([21]) Jeun CLEDAT, Lemonastere et La necropolede BAOUT, 1901, P171-178 ff and J- Mas Pero, " Fouillesde s About in CRAIBAL, 1913,p. 288

في مواجهة الى الشرق وكان يبدو أنه كان من العديد من هذه الأجساد تضاف إلى كل مقبرة، وكان للوصول إلى هذه الغرفة يكون من خلال فتحة في قلب المقص (العقد أما القوس) وكان بعد ذلك تغلق بعد إتمام عملية الدفن، وبعد ذلك كان يوضع في هذا المكان لوحة غالبًا من الحجر يكتب عليها اسم المتوفى (الرجل) وهذا يعتبر تقليد موروث عن المصري القديم مع أنه لماذا الرجل فقط؟ وذلك ربما لحرمة الأنثى، كما أنه كان يوجد أيضًا جنوب الدير مقابر أخرى، وهي كانت عبارة عن حفر بسيطة في باطن الأرض وكانت على شكل الجسد الإنساني ولكنها كانت أكثر اتساعًا عند الرأس والقدمين وقد طليت الحوائط الجانبية لها بالجص (الجبس الأبيض) أو كان يتم تقويتها بكتل حجرية كما أن الطرف الذى يشبه الرأس من القبر كان مسقوفًا ببلاطات مسطحة من الحجر وأحيانًا أخرى كان يبنى فوق القبر كنيسة صغيرة. وأنه في بعض الأحيان كان يوضع لوحًا خشبيًا عند طرف الرأس وكان يتضمن دعاءً قصيرًا وذلك كان بالرغم من عدم كتابة الأسماء للمتوفين، وكانت الأجساد التي في هذه القبور تدفن في تشكيلة من نوعيات مختلفة من الأردية، وكان البعض يرتدى أردية أربعة فضفاضة وكان يلف الجسد، في كفن أو أثنين من الكتان وكان يربط ويلف بليف من النخيل ويغطى بغطاء كتاني سميك، ثم بعد ذلك توضع كتلة مستطيلة من الليف على الوجه، وفي أحيان أخرى كان يوضع قناديل، وأطباق، وعكاز معكوف، وأمشاط عند القدمين، وعندما كانت تدفن أجساد أو أجسام السيدات والأطفال كان من المحتمل أن يضاف ذلك في فترات لاحقة من الزمن وكانت تزين بالأساور وغيرها من المجوهرات وكان هذا يعتبر تقليدًا موروثًا عن المصري القديم وذلك اعتقادًا من المصري القديم بأنه سوف يعيش حياة أخرى في العالم الأخرى ولذلك كانت توضع أمتعته بجواره، وأنه كان من المحتمل والجائز أن المقابر التي كانت في التلال تخص بعضًا من الرهبان ذات الهيبة والجلاء وربما المقابر التي من السهل

(ISSN : 2536 - 9555)

كانت تخص باقي الرهبان الآخرين وهذا أيضًا يعتبر تقليدًا موروثًا عن المصري القديم بأن الملك يدفن في المكان العالي والآخرين في مكان آخر أقل ارتفاعًا أو أقل أهمية.كما نجد أنه في جبانة دير الأبناء هدرا سمعان بأسوان في جنوب الدير([22]) وكانت تتكون من مقابر مستطيلة الشكل ذات أسقف مقبية ([23]) وكانت مرتبة على هئية صفوف بحيث كان يتجاور كل قبر مع الذى كان يليه مباشرة، وهي بذلك كانت تتشابه مع المجموعة الجنوبية من مقابر باويط وأيضًا كانت تتشابه مع الجبانات النوبيةوكان يوجد هناك بداخل كل قبر مبنى مقابل الحائط الجنوبي للكنيسة([24]) وهو كان في نفسهيئة طراز تلك المقابر المقامة بخارج الدير أي الذى كان مستطيل الشكل مسقوفًا بسقف على شكل عقد ويتم الوصول إليه بواسطة فتحة من الحائط الغربي وكان هناك ركيزتان أي حجرتان مقابل الوجه الداخل للحائط الجنوبي، وكان هناك نقش آخر باسم شماس يدعى بسنتاؤس، وكان يعود تاريخه ا حتمالا إلى القرن الثامن الميلادي.

– كما نجد أن دير ناهيا الموجود بجبل مونتيه بأبي رواش محافظة الجيزة والذى حفرته البعثة الفرنسية كما ذكره أبو صالح الأرمني وكذلك أبو المكارم([25]) حيث أنه كان يتحدث في روايته عن وجود سراديب للدفن في هذه المنطقة كما أنه تم اكتشاف ضريح مجاور للدير أثناء أجراء عملية الحفائر وهذا الضريح يمكن

([22]) Monneset de Villard, II monasterodis, Simeonepressoa swan, (1927), p17 ff.

([23]) Monneret de Villared, II, P 117 note (1).

([24]) Monneret de Villared, II, 76ff.

([25]) M – C – palanque, B– I . F .A . O II pp. 163 – 170. (ROPPORT SurlesFouillesd, Eldieir, 1920. And E. M. Chossinot, L, Egypt exploration Fundi, Paris, 1902, pp. B. 44. (L, ArchologicalRoppotrt.

الوصول له عن طريق مدخل مزدوج يوجد خلفه ممر صغير يؤدى إلى سلم مكون من أحدى عشرة درجة، وكان يوجد في قاع السلم ممر يؤدى إلى غرفة الدفن، والتي تتكون من منطقة مركزية مستطيلة وعلى جانبيها سلسلة من الحينات العميقة والتي يحتوى كل منها على جسد مدفون، وكان هناك أيضًا كتلة من العظام ملقاة في اهمال شديد وذلك عند مدخل الضريح وقد يبدو أنها قد ألقيت في هذا المكان في تاريخ لاحق وقد قامت البعثة الفرنسية([26]) على وجود محاولة للتحنيط ولكن كان ذلك بدون أي تفاصيل أخرى أي أن محاولة التحنيط عند الأقباط (المسيحين) كانت تعتبر تقليدًا موروثًا عن المصري القديم حيث أن المصري القديم كان يقوم بتحنيط الجسد قبل دفنه.

– وقد كان دير العظام الذى كان يقع إلي الغرب من أسيوط([27]) وهو كان دير صغير حيث أنه قد انتشرت حول الحائط التي كانت تحيط بمباني الدير عدد من المقابروالتى كانتفى داخلالسياج نفسه ،وحيث انه كان يتضح لنا من وصف تلك المقابر أن الجبانة كانت تقبل دفن أجساد المتوفين من غير الرهبان الموجودين بالدير، وقد وجدت مقابر تخص سيدات أو كذلك أيضًا مقابر تخص رجال وكانت الأجساد في بعض الأحيان توضع داخل توابيت كما أن ملابس الدفن كانت بفخامة أكثر من طرز وأكثر زخرفة من الذى أعتدنا على اكتشافه في مقابر الأديرة الأخرى، ومن المحتمل أن يكون هذا الموقع قد أستخدم كأرض للدفن على مدى عدة قرون وذلك بسبب شهرته كبقعة مقدسة بنفس الطريقة التي أتسعت بها الجبانة الكبيرة التي تقع خارج أسوار الدير المحرق خلال فترة زمنية طويلة

([26]) الأنبا صموئيل، تاريخ أبو المكارم عن الكنائس والأديرة في القرن (12) بالوجه القبلي الجزء الثاني، النظام للطباعة والتوريدات، القاهرة، إيداع رقم 2868، القاهرة، 2000، ص81.

([27]) Mohammed Chaban, Les Fouilles de deir el Aizam in ASAE, 1 p – 109 ff de Villared, II, 76ff.

(ISSN : 2536 - 9555)

وذلك كان بسبب ارتباط الدير بالعائلة المقدسة وهذا يعتبر تقليدًا موروثًا عن المصري القديم.

وقد تضمنت الجبانة التي في الطود والتي تم عمل حفائرها في أواخر القرن التاسع عشر وقد تضمنت أجساد قد دفنت في أكفان طويلة أو عباءات ذات ألوان مختلفة حمراء أو زرقاء أو صفراء أو خضراء وهذه من الصوف ([28]) وكان من هذه الأجساد جسد أسقف كان يرتدي حلة كهنوتية فخمة مطرزة بأشكال إنسانية، وقد ارتدت أغلبية هذه الأجساد قلانس مزخرفة، وكان من ضمن الآراء أيضًا رأى الذى قام بالحفائر بأن هذه المقبرة كانت تخص ديرًا للرهبات ودير للرهبان.

– ولقد جرى وقتًا طويلاً منذ أن أعتاد على دفن رهبان وادى النطرون بداخل حدود أديرتهم وفي الاستطاعة أن نقول بأن أثنين من هذه المواقع المخصصة للدفن تم التعرف عليها، وبالرغم من أنهما لم يستخدما في الدفن للغرباء وذلك لأسباب كثيرة([29])، وعلى أية حال فإن الجبانات الديرية كانت تقع في خارج المنطقة المحمية وكان ذلك حفاظًا على العادات القديمة وهو يعتبر تقليدًا موروثًا عن المصري القديم.

ويبدو أنه بالنسبة لعادة الدفن للرهبان بداخل المنطقة المحاطة بالأسوار لم تصبح هي القاعدة حتى تم الخضوع النهائي للقلالي البعيدة عن المركز وذلك لأننا نجد في كتاب الميرون وذلك في القرن الرابع عشر مرجعا واضحًا عن إنشاء الجبانات منفصلة النواه المسيحية([30]) ومازال في مقدورنا بأن نتتبع حدود هذه المناطق المخصصة للدفن وذلك في أوائل هذا القرن وهي التي تقع غرب ديرًا

([28]) –W. de Bock, Materiaux pour server 11, archeology de Egypt chretinne, p – 27 ff. t.

([29]) E– White, WadiNatrun III. P.p. 53 and 165.

([30]) E. White , wadiNatrun III, p. 40–

بومقار بوادي النطرون([31]) وهي تغطى مساحة واسعة ولقد أحسيت أعداد هذه المقابر إذا أنها قد تصل إلى المئات وكان يبلغ طول القبر مترين ويتراوح عرضه ما بين سبعون وثمانون سنتيمترًا وهو كان محددًا بمنحدر منخفض مبنى من كسر الحجارة، ونجد في أحيان أخرى أن خمسة أو ستة من هذه المقابر تقع في اتجاه متوازي بحيث يكون أحداهما مجاورًا للآخر وبعد ذلك نجد أن الشكل النهائي قد يبدو بشكل عشوائي وقد ظهر قليل آخر من هذه المقابر وهي المقابر الشهيرة والتي ظهرت بشكل دائري وكما هو موضح بالشكل التخطيطى واننا لم نجد أية بقايا لأي من اللوحات الجنائزية وهذا يعتبر خارج التقليد الموروث عن المصري القديم حيث أنه كانت توجد لوحات جنائزية توضع على قبر المتوفى.

شكل رقم 5

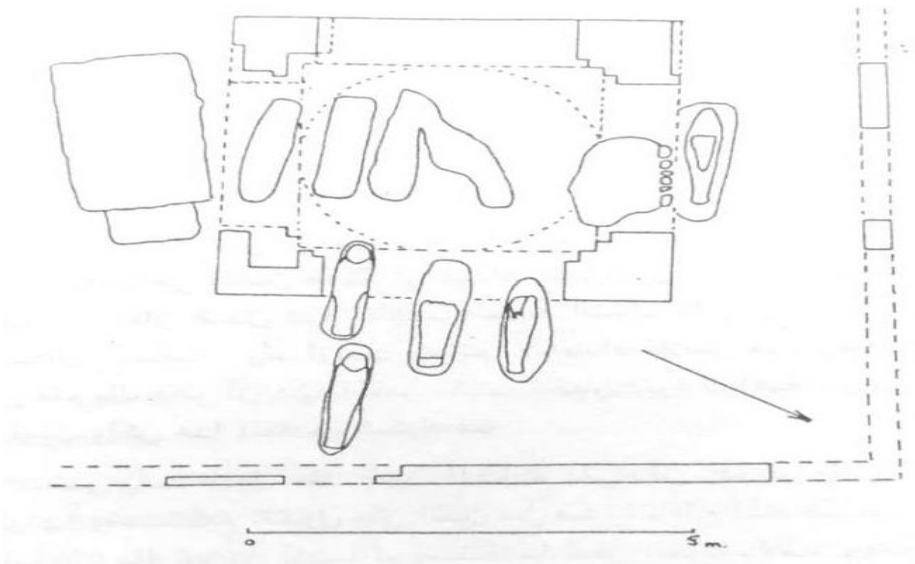

جبانة وادى النطرون نقلا عن ك .ك .والترز

([31]) E. White , wadiNatrun III, p. 53–

(ISSN : 2536 - 9555)

– وفي بعض الأحيان جسد الميت راقدًا على ظهره ومحمولاً على نقش له أربعة أعمدة في الأربعة أركان وقد طوى الجسد على شكل المومياء وهذا يعتبر تقليدًا موروث عن المصري القديم([32]) ونجد أن جبانه وادى النطرون أبو مقار وكذلك الأنبا بيشوي ودير السرياني ودير البراموس حيث يعود تاريخهما إلى القرن الثالث والرابع الميلادي([33])، والكنيسة الثالثة حيث تقع في الجانب الجنوبي للفناء وهي مكرسة على أسم القديس أيسخيرون وهو شهيد من الإسكندرية، ويوجد أيضًا مجموعة غريبة من الرفات. فنجد أنه يوجد عدد ستة عشرة رفات بطريركًا محفوظة في صناديق عامه، وهي مكونة من ثمانية صناديق بكل منها رفات أثنين من البطاركة، مكومة الواحد فوق الآخر عند الجانب الجنوبي للمذبح وهي ليست محكمة الأغلاق، وصناعتها بسيطة إلي درجة أنه من السهل مشاهدة الأشكال الضامرة من البطاركة وهي ترقد داخل التوابيت مثل المومياوات العديدة([34]).

وكذلك التقليد القديم الباقي في حياة العزلة([35])، ويتمثل في عدم وجود شيء جدير بالملاحظة أكثر من أن تجد الرهبان وليس لهم أي حوش للدفن او مقبرة وذلك مع كثرة كنائسهم، وأن الأرض لله بالنسبة لهم هي الصحراء الشاسعة، وبالرغم من أنهم يتمسكون بعظام بعض القديسين القلائل، وذلك للتبرك بهم ألا أنهم لا يستطيعون أن يدلوك على قبر واحد للموتى والذين لا يحصى عددهم ، وهؤلاء الذين عبروا إلى الحياة الأخرى على مدى القرون التي خلت وذلك يعتبر خروج عن الموروث المصري القديم وذلك حيث أن المصري القديم كان يهتم ببناء مقبرته اعتقادًا منه بالحياة في العالم الآخر.

وأما المزار الخاص بدير مارمينا وهو الضريح الذى يدفن فيه الأقباط أحد القديسين أما الشهداء في داخل الكنيسة فيتضمن بالطبع أنبوبة خشبية بها الرفات.

([32]) ألفريد– ج بتلر ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، الكنائس القبطية القديمة في مصر، الجزء الأول، القاهرة، ص 92.

([33]) ألفريد– ج بتلر، الكنائس القبطية القديمة في مصر ص244.

([34]) ألفريد. ج بتلر، الكنائس القبطية في مصر، ص 253 – 255.

([35]) ألفريد – ج بتلرالكنائس القبطية القديمة في مصر، ص53.

وينتصب أمامها حامل للشموع مصنوع من البرونز ومصمم بأسلوب مبتكر ومنفرد على خلاف حوامل الشموع العادية – حيث يمتد أثنان من التنانين المجنحة بطولهما الكامل مع تقاطع زيليهما، بينما أنحنت رأساهما مع رفع الفم إلى أعلى، والجناحان منشوران فوق الجسم، وليس هناك ألتواء في عنق التنين كما قد يتبادر إلى الذهن، ويربط الأثنين من أعلى قضيب مقوس من البرونز، ويحمل هذا القضيب ثلاثة عشر تجويفًا على شكل الأجراس لوضع الشموع، بالإضافة إلى تجويف أخر في فم كل تَنْيَن، وتجويف أخر على كل جناح ومجموعهما كلها سبعة عشر تجويفًا، ونفس هذا التصميم مكرر في الكنيسة الأرمنية المجاورة أي أن هذا يدل على أن هذا التقليد مأخوذًا من الرومان وليس تقليدًا عن المصري القديم.

– ومن بعض التقاليد الأخرى للدفن([36]) نرى جسد الميت راقدًا على ظهره ومحمولاً على نقش له أربعة أعمدة في أربعة أركان وقد طوى الجسد على شكل المومياء وهذا يعتبر تقليدًا موروثًا عن المصري القديم، ونجد أيضًا إقامة لعازر، وهو رسم شديد الغرابة، وحيث نرى في الصورة لعازر واقفًا ملفوفًا من رأسه إلى أخمض قدميه بأربطة من الكتان تشبه الكفن، وبينما وضع فوق رأسه مع الانزلاق إلى الوراء قطعة من القماش تمثل غطاء للرأس، وهذا حسب ما هو معروف بالنسبة للمومياوات، وظهر في الصورة رجلان يحلان "يفكان" أربطة الكفن المصنوعة من الكتان، وهذا يدل على أنه من المحتمل هنا أن تكون هذا من أساليب الدفن عند المصري القديم وربما أن يكون هذا تقليدًا موروثًا عن المصري القديم.

وقد نرى في كنيسة القديسة بربارة وهى التي استشهدت وهي فتاة تبلغ من العمر أربعة عشر عامًا بمصر القديمة فقد أتضح أن غرفة الدفن هي عبارة عن قبو مساحته 6 x 10 أقدام* ستة في عشرة قدمًا، ومحاط بالحوائط ومسقوف بالطريقة الرومانية، وقد تكون في داخله عدد كبير من الجثث البشرية، وكان بعضها داخل توابيت او خارج التوابيت والتي تساقط خشبها اوتلف وكان بعضها مسجى على

*القدم =30سنتيمتر.

([36]) ألفريد– ج بتلر، الكنائس القبطية في مصر القديمة ، ص 190.

([36]) ألفريد– ج بتلر ألفريد – ج بتلر، الكنائس القبطية القديمة في مصر، ص92.

(ISSN : 2536 - 9555)

ظهره، والبعض الأخر موضوعًا في استقامة، والبعض الأخر قد وضعت ذراعاه تحت رأسه، او وضعت الأطراف في أوضاع مختلفة، وقد غطت وجوه جميع هذه الجثث ولفت أجسامها بالأكفان فيما عدا الهياكل العظمية التي برزت من تحت أغطيتها المتحللة، وقد ظهر رأس أحدى الجثث موضوعة فوق فخده من القطيفة، وقد رصتجميع الجثث بحيث تكون أقدامها في الشرق، ويبدو أن بعض الجثث قد تحولت إلى مومياوات وليس إلى هياكل عظمية حيث جلدها الذابل هنا وهناك والمناخ الشديد الجفاف كما يحدث عادة في غرفة محكمة الهواء من النوع الثابت للحرارة صيفًا وشتاءً.

– ومن الكنيسة المعلقة حيث نجد أنه بالقرب من درجات المنبر ولكن في الجناح الشمالي تقريبًا وفي مواجهة الشرق، صندوقًا غريب الشكل([37]) وذلك لحفظ جسد القديس، وهو نوع كبير الحجم من الصناديق الخشبية يقف على أربع أرجل، وله واجهة من الخشب المشغول وفتحة مربعة يحجبها ستارة، ويتضمن أربعة أنابيب لحفظ الرفات، ملفوفة بالحرير الموشى بالفضة كالعادة أما العظام التي حفظت بهذه الأنابيب فهي تخص القديسين مار جرجس، والأمير تادرس وأيسخيرون وأبو أسحاق وقد علقت حول الفتحة وعلى جوانب الصندوق صور لهؤلاء القديسين والملائكة، وحسب القاعدة المتبعة فأن هذه الأنابيب توضع فى خزانة الحائط تحت الصور الرئيسية في الكنائس المختلفة، وأما هذا الصندوق فهو فريد بالنسبة لكنائس مصر القديمة بالقاهرة، وقد نجد أن بعض الأكفان مفتوحة، وبحيث يمكن رؤية جمجمة الميت، والبعض الأخر مغطى بملاءة صوف بيضاء وبها الصلبان الحمراء، وأن معظم الأجساد ملفوفة بملاءة وأن هذا حافظ على الأنسجة الرخوة مثل الجلد والشعر والأوتار والعضلات كما هي تقريبًا، وقد يرجع هذا إلى مناخ الصحراء أي (ملوحة التربة وجفافها) وهناك ظاهرة أخرى في الأجساد الملفوفة والقريبة من سطح الأرض .

اما بالنسبة للشق الثانى وهو مدى التماثل العقيدي والمذهبي بين هذه العادات المسيحية في الدفن ومثيلات لها في العالم المسيحي الآخر المجاور:

([37]) ألفريد– ج بتلر الكنائس القبطية في مصر القديمة ، ص 190.

فانه قد نجد بعض الأساليب المنتشرة بين الأغنياء في العصر المسيحي بالرغم من أننا لا نعرف الآن شيئًا عن هذه الأساليب ولكننا نقول بأن نفس الأسلوب المتبع في لف جسد الميت وهو شائع في رسوم الفريسكو الإيطالية([38]) وذلك في أواخر القرن الثالث الميلادي والقرون التالية وكذلك من أعمال الموازميك في شرفة كنيسة سانت مارك في البندقية، وقد وجد مستر دارين Wallen نماذج للرسم والذى يصور الطفل يسوع مقمطًا بقماط يشبه المومياء في الأعمال السلتية ولكن بطريقة خاطئة وهذا كدليل واضح على وجود إتصال بين الكنائس السلية Celtic والشرقية وهذا يدل على التماثل العقيدي والمذهب مع مثيلات لها مع العالم المسيحي المجاور وأيضًا هناك عبارة تقول أن هناك سبعة رهبان مصريين مدفونين في ديزرت بإيرلندا، ويذكرون في صلاة الترانيم وعلى ذلك فأن التطابق لم يحدث بالصدفة، وبالإضافة إلى ذلك فأن لودينج Ledwich يذكر أن هناك مستعمرة من المصريين استقرت في جزيز ليرنز Lerins على الساحل الجنوبي لفرنسا، وان تضيف النموذج المصري والذى قد جرى أتباعه في جلا ستونبري Glastonbury بإنجلترا وأيضًا رهبان بانجور Bangor، والقديس كولومبا Lumba وكونجل Congel، والنظام الرهباني الذى أسسه القديس بأسيليوس وأن علماء الآثار المعروفين سيرر – كوتون–R Cottonوسيرد سبيلمان H. Spelman وكامدن w– Camden و ج – سيلدن J–Selden عندما درسوا الموضوع أعدوا شهادة أعلنوا فيها أن النظام الرهباني المصري كان هو النظام الوحيد المتبع قبل مجيء أوغسطين سنة خمسمائة وسبعة وتسعون ميلادية ([39]) وهذا يدل على مدى التطابق المسيحي المصري وأتباع النظام المسيحي بالنسبة لمثيلات لها في العالم الآخر.

الخلاصة:-

مما سبق نجدا نه تنتشر فى كل امة من الامم مجموعة من العادات والمعتقدات التى يمارسها الافراد فى كل وقت بوصفها أمرا طبيعيا فى حياتهم وشأننا شأن باقى الامم, ولذلك نجد أن أنفسنا محاطة بطائفة من العادات والمعتقدات والتقاليد نراها

([38]) ألفريد– ج بتلر، الكنائس القبطية في مصر القديمة، ص ص 210 – 211.
([39]) ألفريد– ج بتلر، الكنائس القبطية في مصر القديمة، ص ص 29 – 30.

(ISSN : 2536 - 9555)

ونلمسها فى طبقات المجتمع بحيث أصبحت دستورا وذلك بوصفها موروثات قديمة تتناقض مع المفاهيم الفعلية الحديثة لعادات الدفن فى العصرالمسيحى ومدى أرتباطها بالمفهوم العقائدى للمصرى القديم، حيث أننا نجد أن طرق الدفن متقاربة إلى حدا ما وأن لم تكن بنفس المستوى وذلك بسبب الأضطهاد الدينى بالنسبة للدين المسيحى وعدم الأعتراف به كديانة رسمية فى أوائل ظهوره ومدى المعانة لأظهار ذلك الدين ولكننا نجد أنفسنا أمام نقاط ثابتة ومتقاربة بين الموروثات من المصرى القديم وطرق الدفن للدين المسيحى وهى:- أولا محاولة التحنيط بالنسبة لطرق الدفن المسيحية، وذلك للحفاظ على الجسد بوضع كمية من الملح من وادى النطرون عتى الجسد فى بهو الكنائس المسيحية . ثانيا نرى أن الجسد راقدا على ظهره ومحمولا على نقش له أربعة أعمدة فى أربعة أركان وقد طوى الجسد على شكل المومياء وكذلك وضع الجسد الميت فى تابوت خشبيا وكذلك بالنسبة لمدى التماثل العقائدى والمذهبى بين هذة العادات المسيحية فى الدفن ومثيلات لها فى العالم المسيحى المجاور :-

أولا:- نجد أن بعض الاساليب المنتشرة بين الاغنياء فى العصر المسيحى بالرغم من أننا لانعرف الأن شيئا عن هذة الاساليب ولكننا نقول أنه بنفس الأسلوب المتلع فى لف جسد الميت وهو شائع فى رسوم الفريسكو الأيطالية وذلك فى أواخر القرن الثالث الميلادى والقرون التالية. ثانيا:- الأتصال المتبادل بين الكنائس الغربية والشرقية كان له التأثير الواضح فى مدى التماثل المتبادل بينهما وأيضا العبارة التى تقول أن هناك سبعة رهبان مصريين مدفونين فى ديزرت فى أيرلندا ويذكرون فى صلاة الترانيم وعلى ذلك فان التطابق لم يحدث بالصدفة ,وكذلك المستعمرة المصرية التى أستقرت فى جزيرة ليزنر على الساحل الجنوبى لفرنسا وكذلك النموذج المصرى المسيحى الذتم أتباعه فى أنجلترا, كذلك أن الغرب أعدوا شهادة أعلنوا فيها أن النظام الرهبانى المصرى هو النظام الوحيد المتبع قبل مجيْ أوغسطين سنة, خمسمائة وسبعة وتسعون.